



# «ملتقى التضامن الدولي» يختتم اليوم...»

## قصاص من العنبر رقم 9

كيف يمكن أن تكون الحياة بين أربعة جدران؟ كيف؟ ثمة ناس وحيدون قادرين على وصف ذلك العيش بين جدران غرقة باردة ومتممة. هم ملاك الغليظ. أصغر أسيرة فلسطينية، والأخوة البلبول وعائلة «الأربعة» مؤبدات. هم، بعبارة أخرى، فلسطينيون يكبرون في أقبية سجون الاحتلال بتهمة الدفاع عن حياتهم

مروى بلوط

ملاك الغليظ: ستائر الظلمة



أطفأت ملاك الغليظ شمعتها الخامسة عشرة داخل سجن هشارون، الأسيرة المحزرة الأصغر سنًا لم تعد طفلة. كُتبت أعماراً كثيرة خلال الأشهر السبعة التي قضتها في الأسر. قبل ذلك، لم تكن تعلم ابنة مخيم «الجلزون» أنها ستسجن يوماً من أجل قضيتها. مع ذلك، تفخر اليوم بـ«تهمتها»: حياة سكين. تتذكر الأسيرة المحزرة أصعب لحظاتها في السجن، فتقول بان أقسى أنواع الذل كانت «حفلة» التفتيش العاري، التي بدأت بعدها حكايتها في الغرفة رقم تسعة في المعتقل. في تلك الغرفة، شاركت الغليظ معاناتها مع أربع أسيرات أخريات. كانت تستفيق في الصباح على صراخ النساء من غرف الجنائيات، وعلى تطفل السجانين خلال جولة الـ«سفيغة»، أي جولة تعداد الفتيات للتأكد من أن واحدة منهن لم تهرب.

الفرصة، أو كما تسميها الغليظ «الفورة»، هي الأمر الوحيد الذي كانت تنتظره يومياً، كما تنتظر «الأمل بالخروج»، تقول. سبعة أشهر، وجدت خلالها الصبية ضالتها في قراءة الكتب. وكانت رواية «ستائر العتمة»، الأقرب إلى قلبها وفكرها. تقول «استمدت القوة والصمود من الأسير الذي هو بطل الرواية». تستعيد بعضاً من أحداث تلك الرواية، محاولة التقاط نقاط التشابه فيها مع معاناتها. تعلمت التطريز. حضرت صفوفاً لتعلم اللغة الإنكليزية. حاولت التأقلم مع ظلمة السجن. وكانت في كل مرة تفعل ذلك، تقول «كرمال القضية». ولأن هذه القضية تستحق التضحية، تضامنت وصدقاتها مع الأسيرين محمد ومحمود البلبول اللذين أضربا عن الطعام ثمانين يوماً. عن طريق «تسكير الغرف» لمدة أسبوع، وعدم التواصل مع السجانين الإسرائيليات، ورفض الحصول على أي من المنتجات والطعام الذي يعد في السجن.

«الأخوة البلبول»: أبناء الشهيد

في الثالث عشر من نيسان عام 2016، دخلت نوران البلبول (الصورة) سجن هشارون بتهمة «ابنة الشهيد». بدل من أن تذهب، صباح ذلك اليوم، إلى المدرسة برفقة صديقاتها، سلكت طريقها إلى غرفة التحقيق، معصوبة العينين برفقة شرطة الاحتلال. تتذكر المحزرة من الأسر أنها دخلت السجن بسبب إصرار المحقق الصهيوني «على كسر عزيمتها». تقول «بكيت كثيراً وعلا صراخي أكثر بعدما أُجبرت على مشاهدة فيديو إطلاق الرصاص على أبي». تتذكر الصورة وكأنها تحدث للتو، ثم تقول «رأيت أبي وهو يموت». بعد التحقيق، دخلت ابنة الخمسة عشر عاماً الغرفة رقم 17، وفي قلبها صورة أبيها. جملة واحدة تجول في رأسها «على أن أكون قوية وأناضل كما فعل أبي». «غابة مليئة بالوحوش»، ثلاث كلمات تصف من خلالها نوران السجن والسجانين اللواتي نثرن العتمة في عيون الأسيرات. تتذكر حال المعيشة داخل أربعة جدران: الحياة الصحية منعدمة. الرطوبة عالية. حشرات وفئران في زوايا الغرفة. شتائم. ذاكرتها مثقلة بالحرز. يزيد حزنًا حادثة اعتقال شقيقها محمد ومحمود. يوماً، أعلنت إضرابها عن الطعام، لكنها لم تصمد أكثر من يومين، في حين استمر أخوها بالإضراب مدة 85 يوماً، فقد خلالها محمد بصره، وعانى محمود من شلل نصفي من تداعيات إضراب «ماء وملح». كانت «الفورة» فرصتها الوحيدة للخروج من عتمة سجنها. خلال تلك الاستراحة، كانت تتذكر أمها الوحيدة على مائدة الإفطار بلا أبنائها. خرجت البلبول من السجن بنصف حرية، إذ فرض الاحتلال عليها البقاء في السجن لمدة شهر. فعلت ذلك، «لأن فلسطين بدنا، وضريبة الوطن عالية».

آل أبو حميد، وثلاثون عاماً من الانتظار



مرت ثلاثون عاماً، ولم ينته الانتظار. لا تزال لطيفة أبو حميد، الملقبة بـ«خنساء فلسطين» على موعد لم يأت حتى هذه اللحظة. موعد خروج أولادها الأربعة من المعتقل. لكنها، طوال فترة الانتظار، لم تبك مرة واحدة. اعتادت أن تقاوم إلى جانب أبنائها الأربعة المحكومين بالمؤبد والخمسة المحررين. حفظ جنود الاحتلال في السجن وجه «أم ناصر» واعتادوا زيارتها. عند طلب الزيارة يكفي أن تسجل اسم ناصر، حتى ينده السجان لـ«آل أبو حميد». 45 دقيقة فقط، هي المهلة التي تتحدث خلالها مع أبنائها عن أحوالهم ويسألونها عن صحتها. عن البيت. عن رام الله. عن كل الحياة خارج ذلك السور.

«لم يعد هناك أكثر من المرارة التي مررت بها»، تقول أم ناصر، مؤكدة أنها «ومهما طال فترة الأسر ستبقى السندبانة التي منها يستمد أبنائنا العزيمة والصبر». تتنهد، ثم تقول «فلسطين تستاهل نضحي كرمالها».

«تلاجة الموتى»

ثمة ما هو أقسى عذاباً من السجن: الطريق التي تسلكها الأسيرات وصولاً إلى المحكمة، أو التي يسميها «تلاجة الموتى». العذاب هو في مدة الرحلة في البوسطة، والتي تتخطى في بعض الأحيان 20 ساعة ذهاباً وإياباً.

البوسطة مقسمة من الداخل إلى غرف صغيرة بجدران حديدية، لا تكاد تتسع لكرسي صغير. شديدة البرودة. تجلس الأسيرة داخلها من دون أن تتمكن حتى من طلب المياه في حال العطش. وبين كل أسيرة وأخرى جدار زجاجي عازل للصوت. وحده صوت الجنزير الذي يقرع باب الغرفة هو ما تسمعه الفتيات، كأشد نوع من العذاب النفسي.



## أكبر سجن في العالم

7000 فلسطينية وفلسطيني  
هو عدد المعتقلين في زنازين الاحتلال



- 70 أسيرة
- 400 طفل
- 6 نواب من المجلس التشريعي
- 15 أسيرات في زنازين الفرادية
- 18 أسيرات صحافياً
- 700 أسيرات مريضاً
- 750 أسيرات دون توجيه أي تهمة ومن دون إجراء أي محاكمة

بعد قرار ترامب بدأ تهويد أسماء الشوارع

- 15 ألف وحدة استيطانية بنيت في القدس
- 150 ألف فلسطيني يردد الاحتفال بأخراجهم من القدس
- 1000 بيت مقدسي هدمهم الاحتلال بين عامي 2000 و2015
- 63 عملية حفر أنجرت حتى الآن أسفل الأقصى

90% من خدمات مرضى  
السرطان والأمراض المزمنة ومستلزمات  
العمليات الجراحية غير متوافرة



250 ألف عاطل من  
العمل يعيشون في غزة



50% من القوى  
العاملة



مليون و800 ألف  
فلسطيني في غزة  
ينطبق عليهم وصف  
المحتجزين



45% من الاحوية  
المطلوبة غير متوافرة  
في قطاع غزة



500 عملية جراحية  
منذ مطلع العام الجاري  
امتنعت مستشفيات  
غزة عن إجرائها



58% من لوازم  
المختبرات تفتقدها  
مشفيات القطاع



80% من سكان غزة  
يعتمدون على  
المساعدات الدولية



(المصدر: الهيئة الدولية للدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني)